مجلة الآداب واللغات، المجلد 20 ، العدد 01، (ديسمبر2020)، ص ص 32-53

مجلة الآداب واللغات
جامعة أبي بكر بلقايد،تلمسان / الجزائر
ISSN : 2676-1963/ EISSN: 2676-167X
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/416

ما انفرد به القرّاء السبعة في باب الإظهار والإدغام-دراسة لغوية-

the singularities of the seven reader sin the field of elision and exhibition

خالدي خالد* كلية الآداب و اللغات ، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، الجزائر ،
khaledchetoine@gmail.com

تاريخ المقال
الإرسال:2019/12/22 القبول:2019/12/30 النشر: النشر: 2020/12/07

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان ما انفرد به كل من القرّاء السبعة في باب الإظهار والإدغام، كما يبيّن أيضا آراء علماء القراءات قديما وحديثا حول هذه الظّاهرة من خلال توجهاتهم لبعض الحروف الّتي انفرد بها القرّاء السبعة، كما تشير الدّراسة إلى أهمّيّة هذه الظّاهرة مع ذكر بعض أصول القرّاء في هذا الباب.

الكلمات المفتاحية

الانفرادات، القراءات، الإظهار، الإدغام.

Abstract

The aim of this studyis to show the singularities of each reader among the seven readers in the field of elision and exhibition.
It also exhibits views of language and reading experts currently and in the past about this phenomen according to their pronunciation of some letters, which characterize the seven readers
In the same time, the study indicates the importance of this phenomen, citing some rules of readers in this field.

Keywords

Singularities,elision ,exhibition, koranic readings, the seven readers

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

بسم الله وكفى، والصّلاة والسّلام على المصطفى، وعلى آله وصحبه ومن وفّى، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين أمّا بعد:

فالقراءات القرآنيّة من أجلّ العلوم المتّصلة بالقرآن الكريم اتّصالا وثيقا، ولما كانت كذلك، صرف كثير من العلماء هممهم، ووجّهوا عنايتهم إلى هذا العلم العظيم وما يتّصل به من توجيه أو تعليل أو احتجاج، حيث وجد كل من أقبل على هذا العلم كنزا لا ينفذ، ومعينا لا ينضب، ورَوَاءً لا ينقطع، فهي غنيّة بكثير من الظّواهر اللّغويّة، صوتيّة كانت أم صرفيّة أم نحويّة أم بلاغيّة.

ومن أهمّ الظواهر الصوتيّة البارزة الّتي اهتمّ بها علماء اللّغة والتّجويد، ظاهرة الإظهار والإدغام، لما لها من أهمّيّة في الدّرس اللغويّ، وبخاصّة في القراءات القرآنيّة وعلم التّجويد، فاختلف القرّاء السبعة فيما بينهم في بعض المفردات القرآنيّة إظهارا وإدغاما، فقرأ بعضهم كلمات بالإظهار، وبعضهم الآخر بالإدغام والعكس صحيح. كما انفرد أحدهم بحرف أو حرفين لم يشاركه آخر فيه في هذا الباب، ومن هنا جاء البحث موسوما "ما انفرد به القرّاء السبعة في باب الإظهار والإدغام –دراسة لغويّة-

ومن الأسباب الّتي دفعتني للبحث في انفرادات القرّاء السبعة في باب الإظهار والإدغام مايلي:

1-تعلّقل هذه المباحث بعلم شريف وهو علم القراءات، ومن المعلوم أنّ شرف العلم من شرف المعلوم.

2-تبيان ما انفرد به كلّ قارئ من القرّاء السبعة في باب الإظهار والإدغام، حتّى يصبح كل حرف من هاته الحروف معروفا عند الدّارسين.

والإشكال الّذي نطرحه والّذي نحاول الإجابة عنه –إن شاء الله- في هذا البحث، ما الفرق بين الإظهار والإدغام؟ وأيّهما الأصل؟ وهل كلّ قارئ من القرّاء السبعة كان له انفراد انفرد به في باب الإظهار والإدغام؟ وما هي آراء العلماء قديما وحديثا حول بعض الحروف الّتي أثارت إشكالات لغويّة وصوتيّ؟ وهل تعرّضت هاته الحروف للطّعن والتّلحين؟.

وللإجابة عن هذه الإشكالات استعنّا بالمنهج التحليليّ، والّذي نراه مناسبا لمثل هذه البحوث، لأنّنا بصدد تحليل ظاهرة الإدغام عند القرّاء السّبعة، مع الاعتماد في بعض الأحيان على المنهج الوصفيّ.

وقد صدّرت هذا البحث بمقدّمة وتمهيد، وختمته بخاتمة ثمّ الفهارس.

تضمّن التمهيد مبحثين، قصرت الأوّل منها للتّعريف بالإدغام وأقسامه، وخصّصت الثّاني للتّعريف بالإظهار.

أمّا مسائل البحث فقد رتّبتها على عدد القرّاء السّبعة حسب سنة وفاتهم، فبدأت بابن عامر الشّاميّ(ت: 118ه)، ثمّ ابن كثير المكّيّ(ت: 120ه)، ثمّ عاصم بن أبي النّجود الكوفيّ(ت: 127ه)، وبعده

أبو عمرو بن العلاء البصريّ(ت: 154ه)، ثمّ حمزة بن حبيب الزّيّات(ت: 156ه)، ثمّ نافع المدنيّ(ت: 169ه)، وفي الأخير علي بن حمزة الكسائي(ت: 189ه).

2. ماهية الإظهار والإدغام :

2.1 الإدغام :

2.1.1 تعريفه :

حظي الإدغام بعناية كبيرة لدى علماء العربية قديما وحديثا، وأولوه اهتماما كبيرا ابتداءً من سيبويه الّذي أرسى دعائم العربية وحتى العصر الحديث (سيبويه و تح: هارون، 1992) (جني و تح: النجار)

ـ والإدغام في اللغة: هو إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدغمت الفرس اللّجام، أي: أدخلته في فيه (الفراهيدي و تح: هنداوي، 2003)، أمّا اصطلاحا: فقد عرّفه العلماء بعدّة تعريفات نذكر منها: « كل حرفين التقيا وأولهما ساكن وكانا مثلين أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة »(الكفوي، تح: درويش، و المصري، 1967).

وقد عرّف أيضا أنه: تقريب صوت من صوت، وهو أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك مثله أو مقاربه، فيصيران بتداخلهما كحرف واحد، فَيَنْبُو اللّسان عنهما بِنَبْوَةٍ واحدة(الداني و تح: العارف، 2003).

وأكثر ما يكون الإدغام في المتماثلين، وقد يحدث بين المتقاربين بعد إبدال أحدهما مثل الآخر.

ويهدف الإدغام إلى الخفّة في المبنى، وطلب الخفة راجع إلى كراهية توالي الأمثال، وهو مرتبط بالذوق العربي في نطق الأصوات المتجاورة، ومن جهة أخرى يعدّ أحد ثوابت النحو العربي(يعيش و تح: يعقوب، 2001).

وذهب علماء النحو واللّغة إلى أن قبائل الإدغام محصورة في تميم وقيس وأسد، ولكن بعد الدراسة والتمحيص في عدّة نصوص في الإدغام تقرر أنّ الإدغام كان يغطي منطقة أوسع ممّا ذهب إليه اللّغويون والنحاة، إذ ظهر في قبائل أخرى مثل: عقيل، وعامر بن صعصعة، وبكر بن وائل وغيرها، ومن ذلك ماقاله النّبي صلّى الله عليه وسلم: « أَيُّمَا رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمِينَ سَبَبْتَهُ أو لَعَنْتَهُ أو جَلَدَّه»(النووي و راجعه : المنسي)، بإدغام التاء في الدّال(الجندي، 1978).

2.2.2 أقسامه :

وقد درس علماء التجويد ظاهرة الإدغام، وفي ضوء دراستهم توصّلوا إلى أقسام الإدغام الثلاثة وهي:

إدغام المتماثلين: ويقصد به اتفاق الحرفين مخرجا وصفة، كالباء والياء والهاء، مثاله، قوله تعالى: « فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ» [البقرة:-2-] بإدغام الهاء في الهاء، في قراءة أبي عمرو(الزجاج و تعليق: شلبي، 1988).

إدغام المتجانسين: ويعني اتّفاق الحرفين مخرجا واختلافهما صفة، نحو الدّال والهاء، واللّام والرّاء، والثاء والذال، نحو قوله تعالى: «يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ » [الأعراف-176-] بالإدغام في رواية قالون عن نافع (الزجاج و تعليق: شلبي، معاني القرآن و إعرابه).

إدغام المتقاربين: ما تقارب فيه الحرفان في المخرج أو الصفة، مثل: الدّال والسين، والضاد والشين، والثاء والتاء، مثاله: قوله تعالى: «كَمْ لَبِثْتَ»[البقرة:-259-] قرأ أهل الكوفة «لَبِثَّ» بإدغام الثاء في التاء لقربها منها (النحاس و تح: زاهد، 1977).

فالحرفان المدغمان إمّا أن يتّفقا مخرجا وصفة، وهو ما يسمّى بالمتماثلين، أو أن يتّفقا مخرجا ويختلفان صفة، وهو إدغام المتجانسين، أو يتقاربان مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصفة، وهو إدغام المتقاربين.

وهناك تقسيم آخر للإدغام وذلك باعتبار الحرف المدغم وهو كالآتي:

الإدغام الصغير: عرّفه ابن الجزري : « عبارة عمّا إذا كان الحرف الأوّل منه ساكنا» (الجزري و أشرف عليه: الضباع)، وقال صاحب الاتحاف معرّفا الإدغام الصغير: « هو ما كان الحرف المدغم منه ساكنا» (الدمياطي، 2006).

من خلال التعريفين نستنتج أن الإدغام الصغير هو أن يلتقي حرفان، الأول يكون ساكنا، والثاني يكون متحرّكا، فيدغمان سواء كانا مثلين ، أم متجانسين، أم متقاربين، وسميّ صغيرا وذلك لقلة وروده واستعماله، لقلة ما فيه من إعمال، إذ يدغم مباشرة دون تسكين، لأن من شروطه تقدّم الحرف الساكن، وأن يكون الساكن من حقه الإظهار كحروف الحلق، وهاء السكت، وأن يكون الحرف الساكن من حروف المدّ.

الإدغام الكبير: عرّفه ابن الجزري: « الكبير ما كان الأول من الحرفين فيه متحرّكا، سواء أكانا مثلين أم جنسين أم متقاربين، وسمّي كبيرا لكثرة وقوعه، إذ الحركة أكثر من السكون، وقيل لتأثيره في إسكان المتحرّك قبل إدغامه، وقيل لما فيه من الصعوبة، وقيل لشموله نوعي المثلين والجنسين والمتقاربين » (جزري).

أمّا البنّا الدمياطي فقد عرّفه قائلا: « وهو ما كان الأول من المثلين أو المتجانسين أو المتقاربين متحرّكا » (الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر).

وقد أوضح أبو عمرو الدّاني حقيقة الإدغام الكبير، إذ يقول: « وحقيقة إدغام الحرف المتحرّك في مثله أن يسكّن ثمّ يدغم، وحقيقة إدغام المتقارب أن ينقلب إلى لفظ الثاني ثمّ يدغم » (الداني، الإدغام الكبير).

ويرى ابن خالويه أن الإدغام الكبير يحصل بإسكان الحرف المتحرك، « ذلك لأن الحركة تقع من الإدغام، وإنما يجوز الإدغام مع السكون لا مع الحركة» (خالوية و تح: المزيدي، 1999).

نستنتج أن الإدغام الكبير هو أكثر صعوبة من الإدغام الصغير، وهو أن يلتقي حرفان سواء كانا مثلين، أو متجانسين، أو متقاربين، ويكون الحرف الأول متحرّكا، فسُكّن لأجل الإدغام.

2.2 الإظهار:

2.2.1 تعريفه:

أما الإظهار فلغة: الإبانة والإيضاح، يقال: أظهرت الشيء إذا أبَنْتُه (منظور، 1956). أما اصطلاحا: فهو قطع مخرج الحرف المظهر بإسكانه، وأخذ الحرف المتحرّك بعده في زمن واحد من غير إبطاء يوهم التشديد، مع إخلاص سكون الساكن وإشباع حركة المتحرك (مريم و حمدان، 2001).

ويعد الإظهار أصلا، والإدغام فرع عليه، قال مكّي: « اعلم أنّ الإظهار في الحروف هو الأصل، والإدغام دخل لعلّة... وإنما قلنا: إنّ الإظهار هو الأصل، لأنه أكثر، لأنّ الواقف يضطر فيه إلى الإظهار، ولاختلاف لفظ الحرفين» (القيسي و تح: الطرهوني، 2007).

2.2.2 ما انفرد به ابن عامر(ت: 118هـ):

انفرد ابن عامر في باب الإدغام بعدّة حروف في القرآن الكريم وتفصيلها كالآتي:

* ذال إذ أدغمها في ستّة أحرف في القرآن الكريم، وهذه الحروف هي: التاء نحو قوله تعالى:{ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا } [البقرة-166-]، والزّاي نحو قوله تعالى: { وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} [الأنفال-48-]، والصاد نحو قوله: { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ } [الأحقاف- 29-]، والدّال نحو قوله تعالى:{ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ } [الكهف-39-]، والسين نحو قوله تعالى:{ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ} [النور-12-]، والجيم نحو قوله تعالى: { إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ } [الصافات-84-] (الدسوقي و تح: الراضي، 2002)

* ذال قد أدغمها في ثمانية أحرف في القرآن الكريم، وذلك في رواية هشام، وهذه الحروف هي: السين نحو قوله تعالى: { لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ } [آل عمران-181-]، والذال نحو قوله تعالى:{ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف- 179-]، والضاد نحو قوله تعالى:{ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا} [النساء- 167-]، والظاء نحو قوله تعالى :{ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ } [البقرة-231-]، والزّاي نحو قوله تعالى:{ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ} [الملك-5-]، والجيم نحو قوله تعالى:{ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ}،

[التوبة-128-]، والشين نحو قوله تعالى:{ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا}[يوسف-30-]، والصاد نحو قوله تعالى: { وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ} [الإسراء-89-] (الدسوقي، روضة الشاكر)

* تاء التأنيث الساكنة، أدغمها في ثلاثة أحرف وهي: الثاء والصاد والظاء، فالصاد نحو قوله تعالى: { حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ } [النساء-90-]، فأدغم التاء في الصاد بلا خلاف، واختلف عنه في قوله تعالى:{ هُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ} [الحج-40-]، فأظهر هشام وأدغم ابن ذكوان (الدسوقي، روضة الشاكر).

* أدغم ابن عامر بعض الحروف المتقاربة في المخرج، وهي متفرّقة في القرآن، فمن ذلك أدغم الدّال من (ص) في الذّال من (ذكر) وذلك في قوله تعالى:{ كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا } [مريم1-2]، كما أدغم الدّال من (يرد) في الثاء من (ثواب) حيث جاء في القرآن، ومثال ذلك قوله تعالى:{ وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا } [آل عمران-145-]، كما أدغم النون من «يس» في الواو من «والقرآن الحكيم» [يس 1و2]، وأيضا أدغم النون من هجاء «ن» في الواو من { وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ } [القلم- 1-]، وذلك عند الوصل (الدسوقي، روضة الشاكر في قراءة ابن عامر).

*كما أدغم الثاء في التاء في كلمة (أورثتم) في قوله تعالى: { وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } [الأعراف-43-]، كما أدغم الثاء في التاء في كلمة (لبثت) أو (لَبِثْتُمْ) حيث وردا في القرآن، نحو قوله تعالى: { قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ } [البقرة-259-]، وأيضا من أصوله إدغام الذال في التاء فيما كان مسندا إلى ضمير الجمع أو الإفراد، ككلمة (أخذتم واتخذت) في قوله تعالى:{ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي} [آل عمران81]، وفي قوله تعالى: { قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا } [الكهف- 77-] (الخطيب، 2013).

وأظهر ابن عامر الباء عند الميم في قوله تعالى: { يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ } [هود-42-] بلا خلاف، وأيضا أظهر الثاء عند الذّال في رواية هشام، وذلك في قوله تعالى:{ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ } [الأعراف- 176-] (الخطيب، الكامل الفريد في التجريد و التفريد).

2.2.3 ما انفرد به ابن كثير (ت: 120).

* أدغم النون في الرّاء، نحو قوله تعالى: { وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} [القيامة27]، واللاّم في الرّاء نحو قوله تعالى: { كَلَّا بَلْ رَانَ} [المطففين14] (ضمرة، 2006).

* وأظهر في المواضع التالية:{ يَلْهَثْ ذَلِكَ } [الأعراف176]، قرأها بإظهار الثاء عند الذّال، وكذلك في قوله تعالى:{ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ} [البقرة284]، قرأها بالإظهار مع سكون الباء وقلقلتها، أمّا في قوله تعالى:{ • ارْكَبْ مَعَنَا } [هود42]، فقرأ ابن كثير في رواية البزي بالوجهين، الإدغام والإظهار (غلبون).

وقد انفرد الإمام ابن كثير بحرفين اثنين، أمّا أحدهما ففي سورة الكهف حيث قرأ قوله تعالى: { مَكَّنِّي } بنونين دون إدغام إحداهما في الأخرى، أمّا الآخر ففي رواية البزّي، أدغم التاء في بداية بعض الأفعال المضارعة، أو ما تعرف بتاءات البزّي.

1:{ مَكَّنَنِي}-{ مَكَّنِّي}

قال تعالى:{ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا } [سورة الكهف 95].

يقول الشاطبي في لاميته (الشاطبي و تح: سويد، 2013)

وَمَكَّنَنِي أَظْهِرْ دَلِيلاً وَسَكَّنُوا مَعَ الضَّمِّ فِي الصُّدْفَيْنِ عَنْ شُعْبَةَ الْمَلاَ.

انفرد الإمام ابن كثير بقراءة { مَا مَكَّنَنِي} بنونين ظاهرتين في قوله تعالى :{ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي } [الكهف-95-]، أمّا بقيّة السبعة فقرؤوا بنون واحدة مشدّدة (الضباع، 2006).

حجّة ابن كثير في إظهار النون، هو أنه أجراه على الأصل، «لأن النون الأولى من الفعل والثانية ليست منه، وحَسُن الإدغام في هذا المقام لاجتماع حرفين من جنس واحد» (الأندلسي، 1978) (النحاس، إعراب القرآن)، والعلّة في ذلك، أي: الإظهار « لكون المثلين هاهنا من كلمتين، وإن كانت في الصورة من كلمة واحدة، لأن إحدى النونين لام الفعل الماضي(مَكَّنَ)، والأخرى ليست منه، وهي نون الوقاية، لأنه مع ياء المتكلّم بمنزلة كلمة أخرى» (الفضائل و تح: المقصود، 2004)، فحسن الإظهار.

وحجة باقي السبعة أنه لمّا اجتمع النونان في مكنني، أدغم إحداهما في الأخرى، كما أنه لمّا اجتمع المثلان في «اقْتَتَلُوا»، وهما التاءان، أُدغم إحداهما في الأخرى فقالوا «قُتِّلُوا» (مريم، الموضح) (خالوية، الحجة).

ومعلوم أن إدغام المثلين عند القراء هو: أن يدغم الحرف في مثله إذا لم يتوافر المانع، والمانع هو أن يسبق الحرف المدغم حرف صحيح ساكن، لأنه يؤدي إلى اجتماع ساكنين ليس بينهما حرف مدّ (الإشبيلي و تح: قباوة، 1978). قال أبو العبّاس المهدوي: « فأمّا إدغام النون، فهو من باب أحد المثلين في صاحبه إذا سكّن الأول، وذلك واجب في النون وغيرها من سائر الحروف» (المهدوي و تح: حيدر). والزمخشري اعتبر القراءتين واردتين في العربية وذلك بقوله: «قرئ بالإدغام وفكّه» (الزمخشري و تح: المهدي، 1979).

إذا يمكن القول إنّ القراءتين لهما وجه في العربية، وليس لأحد الطرفين الأرجحيّة، لأن كلا من الفك والإدغام في القراءات وردا عن القراء السبعة، وهم حجّة يحتج بقراءتهم.

2: {وَلَا تَّنَابَزُوا }-{ وَلَا تَنَابَزُوا }

قوله تعالى:{ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[الحجرات-11-].

يقول الإمام الشاطبي (الشاطبي، حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع):

وَفِي الْوَصْلِ لِلْبَزِّيِّ شَدِّدْ تَيَمَّمُوا

وَتَاءَ تَوَفَّى فِي النِّسَا عَنْهُ مُجْمِلاَ

وَفِي الْحُجُراتِ التَّاءُ فِي لِتَعَارَفُوا

وَبَعْدَ وَلاَ حَرْفَانِ مِنْ قَبْلِهِ جَلاَ

انفرد ابن كثير في رواية البزي بقراءة واحدة وثلاثين فعلا مضارعا في القرآن الكريم بإدغام التاء في بداية الفعل المضارع، أو ما يعرف بتتابع تاء المطاوعة وتاء المضارعة، أمّا باقي السبعة فقرؤوا بالتخفيف (البغدادي و تح: بن عبد الشعباني).

تمثل تاءات البزّي ظاهرة لغوية لافتة في الدرس اللّغوي، وقد يفهم من هذه الظاهرة جواز ابتداء العربيّة بالساكن، وهذا ما أجمع علماء العربية على نفيه، فمن خصائص العربية عن العلماء قاطبة أنّها لا تبتدأ بالساكن، وللتخلّص من البدء بالساكن يؤتى بهمزة الوصل (القرالة، 2011).

تمثل تاءات البزّي ظاهرة لغوية لافتة لابد من تبين حقيقتها، ومدى انسجامها مع نسق العربية، وقد جاء رصد هذه الظاهرة في كثير من كتب القراءات، ومن العلماء الّذين وقفوا على هذه الظاهرة، ورصدوا الأفعال التي جاءت فيها (أحمد بن علي بن خلف الأنصاري ت:540ه)، إذ يقول: «شدّد البزّي التاء التي في أوائل الأفعال المضارعة في الوصل في واحد وثلاثين موضعا وهي: في البقرة(267) (وَلَا تَيَمَّمُوا)، وفي آل عمران (103)(وَلَا تَفَرَّقُوا)، وفي النساء (97) (تَوَفَّاهُمُ)، وفي المائدة (2)(وَلَا تَعَاوَنُوا)، وفي الأنعام (153) (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ)، وفي الأعراف (117) (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ)، وكذلك في طه (69)، والشعراء (45)، وفي الأنفال (20)، (46) (ولا تولّوا)،(ولا تَنَازعُوا)، وفي التوبة (52)(قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا)، وفي هود (3)،(57)،(105)، (وإن تَوَلّوا) و(فإن تَوَلّوا)و(لا تكلم نفس)، وفي الحجر (8)، (مَا نُنَزِّلُ) ، وفي النّور (15)، (54) (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ) و(فَإِنْ تَوَلَّوْا)، وفي الشعراء (221)،(222)(عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ) ، وفي الأحزاب (33)،(52) (وَلَا تَبَرَّجْنَ) و(وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ)، وفي الصّافات (25)(مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ)، وفي الحجرات (11)،(12)،(13)(وَلَا تَنَابَزُوا)و(وَلَا تَجَسَّسُوا)و(لِتَعَارَفُوا)، وفي الممتحنة (9)(أَنْ تَوَلَّوْهُمْ)، وفي الملك (8) (تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ)، وفي ن والقلم (38)(لَمَا تَخَيَّرُونَ)، وفي عبس (10)، (فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى)، وفي (واللّيل) (14) (نَارًا تَلَظَّى)، وفي القدر (4)(تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا) (الأنصاري و تح: قطامش، 2001).

وقد أوردت بعض المصادر أنّ البزّي قرأ في موضعين أيضا بتشديد التاء، فقد جاء في التيسير لأبي عمرو الدّاني ما نصّه: «... وزادني أبو الفرج النجاد المقرئ عن قراءته على أبي الفتح بن بُدْهُن عن أبي بكر الزينبي عن أبي ربيعة عن البزي موضعين: في آل عمران (آية :143) (وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ)، وفي الواقعة (آية 65)(فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ)، فشدّد التاء فيها (الداني، التيسير في القراءات السبع، 2005).

وقد تعرّض علماء اللّغة والقراءات لهذه القراءة نجملها في مايلي:

ما ذهب إليه مكي بن أبي طالب القيسي، الّذي ذكر في الكشف صراحة أن البزي قد أدغم إحدى التائين في الأخرى، بقوله: « وعلته في ذلك أنه حاول الأصل، لأن الأصل في جميعها تاءان، فلم يحسن له أن يظهرهما، فيخالف الخط في جميعها، إذ ليس في الخط إلا تاء واحدة. فلمّا حاول الأصل، وامتنع على الإظهار، أدغم إحدى التاءين في الأخرى» (القيسي، الكشف).

أما ابن خالويه أشار في حجته إلى رواية البزّي بالإدغام، وفي الوقت نفسه يشير إلى أن ذلك مستكره، فقد جاء في حجّته قوله: «قال تعالى: (لا إِذْ تَلَقَّوْنَهُ)) (النور:15) يقرأ بالإدغام والإظهار. فالحجة لمن أدغم مقاربة الحرفين في المخرج، والحجة لمن أظهر أنّه أتى به على الأصل، إلا ما روي عن ابن كثير من تشديد التاء وإظهار الذال، وليس ذلك بمختار في النحو لجمعه بين ساكنين» (خالوية، الحجة).

يلاحظ من كلام ابن خالويه أنه لم يشر إلى استحالة الجمع بين ساكنين، بل أشار إلى عدم استحسان ذلك في النحو، وهنا نتساءل قائلين: هل النحو وقواعد النحاة تمثل معيارا للقرآن، أم أن القرآن والقراءات خصوصية قد لا تحيط بها قواعد النحاة.

أما سيبويه فيقول في الكتاب :« فإن وقع حرف مع ما هو من مخرجه أو قريب من مخرجه مبتدأ، أدغم وألحقوا الألف الخفيفة، لأنهم لا يستطيعون أن يبتدئوا بساكن...فإن التقت التاءات في تتكلمون ونحوها فأنت بالخيار، إن شئت أثبتها، وإن شئت

حذفت إحداهما... ولا يسكنون هذه التاء في تتكلمون ونحوها ويلحقون ألف الوصل »(سيبويه، الكتاب).

يتضح من كلام سيبويه أنه يرى حذف إحدى التاءين تخفيفا، أو إثباتهما دون وقوع الإدغام بينهما تحاشيا لمحذور الوقوع في الإبتداء بالسّاكن.

وها هو الفرّاء- وهو كوفي المذهب- يميل إلى الإظهار أو الحذف، ويتضحا ذلك جليا في مؤلفاته-يقول على سبيل المثال عند وقوفه على قوله تعالى :« إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ» [النساء97]، «إن شئت جعلت (توفاهم) في موضع نصب، ولم تضمر تاء مع تاء فيكون مثل قوله تعالى:« إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا» [البقرة:70]، وإن شئت جعلتها رفعا، تريد « إنّ الّذين تتوفّاهم الملائكة»، وكل موضع اجتمع فيه تاءات جاز فيه إضمار إحداهما، مثل قوله« ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ [الأنعام- 152-]، ومثله قوله « فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ » [هود -57-] (الفراء و تح: شمس الدين، 2002).

أما المبرّد لم يجز إدغام التاء في التاء، وذلك خشية منه الإبتداء بالساكن، وهذا ما يخالف قواعد العربية، إذ يقول: « فإن قلت تتكلمون، وتدّعون، لم يجز الإدغام وإدخال ألف الوصل، لأن ألف الوصل لا تدخل على الفعل المضارع» (المبرد و تح: عضيمة).

ولم يقف المبرّد عند عدم جواز الإبتداء بالساكن فحسب، بل إنه يعد القراءة السبعية التي تقع فيها شبهة الإبتداء بالساكن يعدها من باب اللّحن، يقول المبرد: « وأما قراءة من قرأ :« ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ» [الحج-15-]، فإن الإسكان في لام (فلينظر) جيّد، وفي لام (ليقطع) لحن، لأنّ (ثمّ) منفصلة من الكلمة» (المبرد، المقتضب).

والمبرّد معروف بآرائه التي يواجه فيها بعض القرّاء، ويردّ بعض القراءات ويصفها أحيانا بالضعف، وأحيانا أخرى باللّحن، وأحيانا أخرى يفاضل بين القراءات وإن كان المفضولة سبعيّة.

ويقف ابن جنّي على هذه الظاهرة في معرض حديثه عن شدّة اتصال المبتدأ بالخبر في اللّفظ والمعنى، إذ يقول: « ومثله أيضا في الدلالة على هذا المعنى قراءة ابن كثير: (فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ) [الأعراف- 117-]، ألا ترى إلى تسكين حرف المضارعة من (تلقف)، فلولا شدّة اتصاله بما قبله للزم منه تصوّر الإبتداء بالساكن...» (جني، المحتسب في تبين وجوه و شاذ القراءات و الإيضاح عنها، 1999).

إن ابن جنّي يشير في ذلك إلى أنّ التركيب أصبح كتلة واحدة يتكون من (هي تلقف)، فأدغمت التاء في التاء لكون التاء الأولى من الوجهة المقطعيّة أصبحت تابعة لما قبلها، وقد أشار إلى رسمها (هيتلقف) (جني، الخصائص) (القرالة، تاءات البزي المفهوم و الحقيقة الصوتية).

ويلاحظ من آراء العلماء أن الإبتداء بالساكن يتطلّب اجتلاب همزة الوصل، وهمزة الوصل لا تدخل على المضارع، ويستغرب رأي السيوطي في الجمع أنه يشير إلى دخول همزة الوصل على الساكن، دون إشارته إلى محذور دخولها على المضارع، إذ يقول: « ويجوز الإدغام أيضا من غير وجوب فيما إذا كان المثلان تاءين أوّل فعل مضارع، نحو: تتجلّى، تتظافر، و حينئذ يؤتى بهمزة الوصل لسكون التاء الأولى بالإدغام، فيقال: اتجلّى، واتظاهر» (السيوطي و تح: مكرم، 1980).

نفهم من هذا الكلام أنه يجوز أن تدخل همزة الوصل على المضارع، وهذا ما نفاه العلماء جملة وتفصيلا.

ومن العلماء الّذين أشاروا إلى هذا الإدغام، ابن هشام في أوضح المسالك، فهو يرى أن الإدغام يقع في الوصل بما سبق بحرف مدّ، أما في الإبتداء فيخفف بحذف إحدى التاءين (هاشم و تح: الفاخوري، 1989).

أمّا إذا وقفنا على آراء المحدثين فهم يؤكدون عدم جواز الإبتداء بساكن، وعدم وجود مقطع في العربية يبدأ بصامتين، وهذا الرأي يتبناه جميع العلماء دون استثناء. يشير إبراهيم أنيس إلى أنه ليس من نسج المقاطع العربية أن يأتي صوتان ساكنان يليهما صوت لين قصير يليه صوت ساكن، وإذا اشتملت كلمة على مثل هذا المقطع أمكن الحكم عليها بسهولة أنّها غير عربية (أنيس، 1975).

وما يراه إبراهيم أنيس يراه جل المحدثين، ومن هؤلاء كمال بشر الذي يقول: « المقطع لايبدأ بصوتين صامتين، كما لا يبدأ بحركة، وإن لوحظ وقوع الصورة الأولى في بعض اللّهجات العامية الحديثة» (بشر) (القرالة، تاءات البزي المفهوم و الحقيقة الصوتية).

أمّا داود عبده فيؤكد عدم ابتداء العربية بصحيحين متواليين، وأنه لا يجد سببا يدعوا إلى الشّك في صحّة ما ذكره اللّغويون القدماء من تجنّب البدء بصحيحين، ممّا يؤكد رأي القدماء عنده حول تجنب البدء بصحيحين، وممّا يؤكد رأي القدماء عنده حول تجنّب البدء بساكن، وجود كلمات مثل: إكليل و اصطبل وإقليم وإسفنج ، وهي ممّا افترضته العربية من لغات كانت تبدأ فيها هذه الكلمات بصحيحين متواليين، وأجرت العربية عليها التعديل الذي ينطبق على الكلمات الّتي تبدأ بساكن في العربية (عبده).

ولقد وقف سمير إستيتة على هذه الظاهرة ، واحسبه- واللّه أعلم- من القلائل من علماء الدرس الصوتي الحديث الّذي لفتت هذه الظاهرة انتباهه، لكونه قد أعطى القراءات خصوصية واهتماما في دراساته، يقول في تعليل الإدغام في الوصل في قوله تعالى: (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ) [البقرة267] « والتغيير الّذي يجري على البنية المقطعية في هذه الحال، يتمثل في أن المقطع الأول سيصبح مكوّنا من ص+ح+ح+ص، وكان قبل ذلك مكونا من : ص+ح+ح ، وكل الّذي حدث هو أن المقطع قد أغلق بعد أن كان مفتوحا، إنّ المقطع الّذي ينشأ عن هذا التغيير (أي: تشديد التاء) مقطع غير شائع في العربية، فهو يستعمل في مثل: (ضالين وجادين)، وفي الوقف على: رحيم، ولكن عدم شيوعه لا يقدّم في صحته، ولا ينال من سلامته وفصاحته » (استيتية).

وبعد هذا العرض لآراء العلماء قديما وحديثا لهذه الظاهرة اللّغوية، نستطيع القول إنها تمثل نوعا من الأداء اللّغوي على عدة وجوه تبعا للسياق الّذي جاءت فيه التاء، وبحسب ما يسْبقها، وهذه الظاهرة لا تمثل دليلا على الإبتداء بالساكن، كما أرى أن العلّة ليست في القراءة لأنّها سبعيّة، بل في توجيه الأداء فيها.

2.2.4 ما انفرد به عاصم ابن أبي النجود (ت: 127ه):

أظهر الإمام عاصم في قراءته ذال إذ عند التاء والجيم والدال والزّاي والسين والصاد، نحو: «إذ تبرّأ»، و «إذ جاءوكم»، و« إذ دخلوا»، و« إذ زيّن»، و«إذ سمعتموه»، و« إذ صرفنا»، كما أظهر دال قد عند الجيم والذال والزّاي والسين والشين والصاد والضاد والظاء نحو: «قد جعل»، و« ولقد ذرأنا»، و« ولقد زينا»، و« قد سمع»، و« قد شغفها»، و« ولقد صدق»، و« فقد ظلم». أيضا أظهر تاء التأنيث إذا اتصلت بالفعل عند التاء والجيم والزاي والسين والصاد والطاء، نحو: «كذبت ثمود»، و«نضجت جلودهم »، و« خبت زدناهم»، و« حصرت صدورهم»، و«أنزلنا سورة»، و«كانت ظالمة»، كما أظهر لام هل عند التاء والثاء

والنون ، مثل: « هل تنقمون»، و«هل ثوّب»، و«هل نحن»، كما أظهر لام بل عند التّاء والزاي والسين والضاء والطاء والظاء والنون نحو: «بل تأتيهم»، و« بل زين»، و«بل سوّلت»، و«بل ضلّوا»، و«بل طبع»، و«بل ظننتم»، و«بل نتبع» (الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة، 1999).

كما أظهر عاصم الباء المجزومة عند الفاء، نحو: « أو يغلب فسوف»، واللام عند الذال «من يفعل ذلك» حيث وقع، والفاء عند الباء، مثل: «نخسف بهم»، والذال عند التاء مثل: «عذت»، و «فنبذتها»، و«اتخذتم»، و«أخذتم»، وما تصرف منهما. والثاء عند التاء، مثل: « أورثتموها»، و«لبثت» كيف جاء، والدّال عند الذّال في «كهيعص ذكر»، وعند الثاء، مثل:« ومن يرد ثواب»، والرّاء المجزومة عند اللام، نحو :«نغفر لكم»، و«واصبر لحكم»، والنون عند الواو من «يس والقرآن»، و«ن و القلم» (الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة).

هذا ما يخص الإظهار أمّا الإدغام، فأدغم الثاء في الذال في «يلهث ذلك» في سورة الأعراف، والباء في الميم في «اركب معنا» سورة هود، والنون في الميم في قوله « طسم» (الضباع، إرشاد المريد إلى مقصود القصيد) (الضباع، الإضاءة في بيان أصول).

انفرد الإمام عاصم بحرفين اثنين، فالأوّل في سورة القيامة في قوله تعالى:{ مَنْ رَاق } حيث قرأها بإظهار النون عند الرّاء، أمّا الثاني ففي سورة المطفّفين في قوله تعالى: {بَلْ رَانَ} حيث قرأها بإظهار اللّام عند الرّاء.

1: { مَنْ رَاقٍ }-{مَن رَّاقٍ}

قوله تعالى: { كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ } [القيامة26-27].

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني ووجه التهاني في قراءات السبع):

وَسَكْتَةُ حَفْصٍ دُونَ قَطْعٍ لَطِيفَةٌ

عَلَى أَلِفِ التَّنْوِينِ فِي عِوَجاً بَلاَ

وَفِي نُونِ مَنْ رَاقٍ وَمَرْقَدِناَ وَلاَ

مِ بَلْ رَانَ وَالْبَاقُونَ لاَ سَكْتَ مُوصَلاَ

انفرد الإمام عاصم في رواية حفص بقراءة قوله تعالى: «من راق» بالسكت على اللّام، ثمّ يقول (راق) من غير قطع، ليبيّن لفظ الرّاء ودون إدغام (الداني، التيسير) (السخاوي و تح: الطاهري، 2002).

وجّهت هذه القراءة أنّ هذه الوقفة مع إشكالها على كثير من العلماء لسبب أن لا تجتمع النون مع الرّاء فيدغم أحدهما في الآخر، لأنّ النون قد تدغم في الرّاء كما تدغم اللّام فيه نحو قوله تعالى: « كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ» [المطففين-14-]، فوقف حفص على النون لئلا يحصل الإدغام، لأن الحرفين ليسا بمثلين وهما من كلمتين (مريم، الموضح في وجوه القراءات و عللها)، أمّا من قرأ بغير وقفة بينهما فوجّه على أن النون تلي الرّاء، لأن الكلمتين متصلة إحداهما بالأخرى، والموضع ليس بموضع وقف، فالأصل أن لا يوقف على «من»، لأن «من» مع «راق» جملة هي ابتداء وخبر، فلابد لأحدهما من الآخر (مريم، الموضح في وجوه القراءات و عللها).

2: { بَلْ رَانَ }-{بَل رَّانَ}

قوله تعالى:{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }[المطففين-14-].

يقول الإمام الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع):

وَفِي نُونِ مَنْ رَاق وَمَرْقَدِناَ وَلاَ

مِ بَلْ رَانَ وَالْبَاقُونَ لاَ سَكْتَ مُوصَلاَ

انفرد الإمام عاصم في رواية حفص بقراءة «بَلْ رَان» بسكت على اللام، ثمّ يقول (ران) من غير قطع في قوله تعالى: :{ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ } والباقون دون سكت وبإدغام اللّام في الرّاء (السيوطي و تح: بن قطب، شرح الشاطبية، 2004).

الحجّة لمن قرأ بإظهار اللّام عند الرّاء دون إدغام، فلأنّ اللّام من كلمة والرّاء من كلمة أخرى، أمّا من قرأ بالإدغام فالسّبب هو قرب مخرج حرف اللام من مخرج حرف الرّاء، مع غلبة الرّاء على اللّام (الأزهري و تح: المزيدي، 1999) (الأزهري و تح: المزيدي، معاني القراءات، 1999) (زنجلة و تح: الأفغاني، 2002).

ومذهب العلماء في اللّام الّتي هي غير لام التعريف نحو لام: هل وبل، فإدغامهما لازم في مثل قوله تعالى: «بل ران» لشدّة التّقارب بين اللام والرّاء (الفضائل، شرح شافية ابن الحاجب). قال سيبويه: « فإذا كانت غير لام المعرفة نحو: لام هل و بل، فإن الإدغام في بعضها أحسن... لأنها أقرب الحروف إلى اللّام وأشبهها بها... وإن لم تدغم فقلت: هَلْ رَأَيْتَ، فهي لغة لأهل الحجاز، وهي عربية جائزة» (سيبويه، الكتاب) (الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، 1993)

إذن فالقراء آثروا الإدغام لقرب اللّام من الرّاء، لأنهما من مخرج واحد، أمّا حفص عن عاصم فحجّته أن «بل» منفصلة عن «ران» في المعنى، ولا يستقيم المعنى إلا بالانفصال.

2.2.5 ما انفرد به أبو عمرو بن العلاء (ت: 154ه):

انفرد أبوعمرو ابن العلاء في باب الإدغام بالحرفين الآتيين:

1: {فِيه هُدًى} - { فِيهِ هُدًى }

قوله تعالى: { الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة-1و2-]

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع):

وَمَا كَانَ مِنْ مِثْلَيْنِ فِي كِلْمَتَيْهِمَا

فَلاَ بُدَّ مِنْ إدْغَامِ مَا كانَ أَوَّلاَ

كَيَعْلَمُ مَا فِيهِ هُـدًى وَطُبِعْ عَلَى

قُلُوبِهِمُ وَالْعَفْوَ وَأْمُرْ تَمَثَّـلاَ

انفرد أبو عمرو ابن العلاء بقراءة «فِيه هُّدًى» بإدغام الهاء في الهاء في قوله تعالى:{ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ } [البقرة-2-]، أمّا باقي السّبعة فقرؤوا بإظهارها (الداني، التيسير).

ذهب ابن خالويه إلى أن: « الحجّة لمن أدغم مماثلة الحرفين، لأن الإدغام على وجهين: مماثلة الحرفين، ومقاربتهما... وإنما وجب الإدغام في ذلك لأن النطق بالمتماثلين والمتقاربين ثقيل فخفّفوه بالإدغام، إذ لم يكن حذف أحد الحرفين، والحجة لمن أظهر أنه أتى بالكلام على أصل ماوجب له، ووفّاه حق لفظه، لأن الإظهار الأصل، والإدغام فرع عليه، فإن كان الحرف الأول ساكنا لعلّة أو لعامل دخل عليه، كان الإدغام أولى من الإظهار» (خالوية، الحجة في القراءات السبع).

أمّا موقف علماء اللّغة من هذا الإدغام فجاءت متباينة، فقد اكتفى الأخفش بذكره دون بيان رأيه (الأخفش و تح: فارس، 1979)، وذهب الزجّاج إلى أنّ هذا الإدغام ثقيل غير أنه جائز في القياس، إذ قال: « فأما قراءة «فيه هدى» بإدغام الهاء في الهاء، فهو ثقيل في اللّفظ، وهو جائز في القياس، لأن الحرفين من جنس واحد إلا أنه ثقيل في اللّفظ، لأن حروف الحلق ليست

بأصل في الإدغام، والحرفان من كلمتين» (الزجاج، معاني القرآن و إعرابه).

أمّا النّحاس فقد وصف هذا الإدغام بالرّديء، يقول: « يدغم لاجتماع هاءين وليس بجيّد، لأن حروف الحلق ليست أصلا في الإدغام ويجتمع ساكنان...» (النحاس، إعراب القرآن).

ويمكن القول إنّ هذه القراءة جائزة في القياس، غير أنّها قليلة الاستعمال، لأنها تؤدي إلى حدوث ثقل في اللّفظ أو الكراهة.

2: { ويَغْفِر لَّكُمْ} - { وَيَغْفِرْ لَكُمْ }

قوله تعالى: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [آل عمران-31-].

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع):

لَهُ شَرْعُهُ وَالرَّاءُ جَزْماً بلاَمِهاَ

كَوَاصِبرْ لِحُكْمٍ طالَ بُالْخُلْفِ يَذْبُلاَ

انفرد الإمام أبو عمرو البصري بقراءة «ويَغْفِر لَّكُمْ» بإدغام الرّاء في اللّام في قوله تعالى: «ۥ وَيَغْفِرْ لَكُمْ »، والباقون بالإظهار (الحلبي، 2001).

من بين العلماء الّذين عالجوا مسألة إدغام الرّاء في اللام، وروى الخلاف فيها بين البصريين والكوفيين، سيبويه، الّذي ذهب إلى عدم جواز هذا الإدغام، يقول في ذلك: «والرّاء لا تدغم في اللّام ولا في النون لأنها مكرّرة» (سيبويه، الكتاب)، ووافقه في ذلك ثلّة من علماء البصرة، مثل: المبرّد (المبرد، المقتضب) ، وكذلك ابن السّراج (السراج و تح: الفتلي، 1996) وابن جنّي (جني، تح: حسن، و آخرين، سر صناعة الإعراب، 2000)، وغيرهم، وما منعه هؤلاء أجازه أبو جعفر الرّؤاسي، والكسائي، والفرّاء، وحكوه عن العرب (الأندلسي و تح: الحمد، 1998)، وأجازه أبوعمرو بن العلاء وقرأ به، وهو علم في اللّغة والنّحو والقراءة ورأس البصريين (حيان).

وقد نقل أبو حيّان في تفسيره رأي الزمخشري الّذي يقول: « ومن أدغم الرّاء في اللّام لاحن مخطئ خطا فاحشا، وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين، لأنه يلحن، وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الرّوايات قلّة ضبط الرّواة، والسبب في قلّة الضبط قلّة الدراسة، ولا يضبط نحو هذا إلاّ أهل النحو» (حيان أ.) (الزمخشري، الكشاف)

وقد ردّ أبو حيّان على الزمخشري مدافعا عن القران وقراءاته، متهما إيّاه برفض الرّواية وتخطئة القرّاء: « وذلك على عادته في الطعن على القرّاء، وأما ما ذكر من أن مدغم الرّاء في اللّام لاحن مخطئ خطأ فاحشا إلى آخره، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون، فذهب الخليل وسبويه وأصحابه إلى أنه لا يجوز إدغام الرّاء في اللّام من أجل التكرير الّذي فيها ولا في النون» (حيان أ.، البحر المحيط).

ويمكن القول كيف السبيل لهؤلاء النحاة إلى إنكار هذه القراءة، وهي منقولة عن أبي عمرو، وهي قراءة سبعية صحيحة، أيّدها ثلة من العلماء الّذين لا ترد لغتهم، يقول أبو حيّان: « وأجاز ذلك الكسائي والفرّاء، وحكياه سماعا، وافقهما على سماعه رواية وإجازة أبو جعفر الرّؤاسي، وهو إمام من أئمة اللّغة والعربية من الكوفيين» (حيان أ.، البحر المحيط).

وهذا النّوع من الإدغام يبيحه نزوع المتكلّم إلى التخفيف، وتسوغه بيئة بدوية «وممّا يحتج به لأبي عمرو وغيره ممن أدغم الرّاء في اللّام، أنّ الرّاء إذا أدغمت في اللّام صارت لاما، ولفظ اللّام أسهل وأخف

من أن تأتي ب(راء) فيها تكرير وبعدها (لام)، وهي مقاربة للرّاء، فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من مخرج واحد، فطلب التخفيف بذلك» (السيرافي و تح: الشافعي الحفيان، 2002) (المخزومي، 1958).

2.2.6 ما انفرد به حمزة (ت:156هـ):

انفرد القارئ حمزة بن حبيب الزّيّات بثلاثة حروف وهي كالآتي:

الأوّل في سورة الكهف، حيث قرأ قوله تعالى: "اسطاعوا" بإدغام التاء في الطاء، الثاني في سورتي القصص والشعراء، وذلك في قوله تعالى "طسم"حيث أظهر نون "سين"عند الميم، والثالث في سورة الصّافّات فقرأ قوله تعالى "والصَّافَّات صَفّا" بإدغام التاء في الصّاد.

1: { اسْطَّاعُوا} - { اسْطَاعُوا }

قوله تعالى:{ فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا } [سورة الكهف-97-].

جاء في نظم الشاطبية (الشاطبي، حرز الأماني و وجه التهاني في القراءات السبع):

وَطَاءَ فَمَا اسْطَاعُوا لِحَمْزَةَ شَدّدُوا

وَأَنْ تنْفَدَ التَّذْكِيرُ شَافٍ تَأَوَّلاَ.

انفرد حمزة بقراءة «اسْطَّاعُوا» بإدغام التاء في الطاء، أمّا باقي السبعة فقرؤوا بالتخفيف (الداني، التيسير في القراءات السبع).

يقول المهدوي: « الأصل في القراءتين جميعا استطاعوا، فمن شدّد الطاء فإنه أدغم التاء في الطاء... ومن خفّف الطاء فإنه حذف التاء لمّا كانت من جنس الطاء كراهية اجتماع المتماثلين» (المهدوي، شرح الهداية).

وعند علماء اللّغة، التاء تدغم في الطاء إذا جاءت بعدها، لأن الحرفين من مخرج واحد، إلا أن الطاء مجهور عند القدماء، والتاء مهموس (النعيمي)، والحرفان (الطاء والتاء) عند سيبويه من الحروف التّي تدغم ولا يدغم فيها، لأنهما من حروف طرف اللّسان والثنايا (سيبويه، الكتاب) (جني، سر صناعة الإعراب)

انقسم العلماء -في نظرتهم للقراءة-إلى قسمين، قسم ضعّف القراءة وخطّأها، وقسم أجاز هذا الإدغام ودافع عن القراءة.

فأما أصحاب القسم الأول فإنهم يرون أن إدغام التاء في الطاء في «استطاعوا» ضعيف وخطّأه النحاة في ذلك، لأنه لو أدغم فيها لزم الجمع بين ساكنين على غير حدّه (الأزهري، معاني القراءات) (مكي) (حيان أ.، البحر المحيط).

والكسائي يرى أنّ إدغام التاء في الطاء قبيح (الكسائي و تح: شحاته، 1988)، وردّ النّحاس هذا الإدغام، لأنه من الصّعب النطق به، إذ قال:« وهذا الّذي حكاه أبو عبيد لا يقدر أحد أن ينطق به، لأن السين ساكنة والطاء المدغمة ساكنة، قال سيبويه (سبويه): «هذا محال، إدغام التاء فيما بعدها، لايجوز تحريك السين لأنها مبنيّة على السكون» (النحاس، إعراب القرآن)، ويصف الأزهري القارئ بهذه القراءة بأنه لاحن مخطئ (الأزهري، معاني القراءات).

قال الرّضي الأسترآباذي:« واعلم أنّه لم يدغم التاء في (اسطاع)...لأن الإدغام يقتضي تحريك السين التي لا تتحرّك، ولاحظ لها في الحركة بعده، وقراءة حمزة «اسطاع» بالإدغام شاذّ» (الرضى).

وأمّا أصحاب القسم الثاني فجوّزوا إدغام التاء في الطاء، يتقدمهم الزجّاج الّذي يرى أن التاء يجوز أن تدغم في الطاء في قوله: « اسطاعوا» ونظائره، لأنهما من

مخرج واحد (خالوية، الحجة)، ودافع ابن خالويه عن حمزة بقوله:« وليس في ذلك عيب، لأن القراء قد قرؤوا بالتشديد قوله:« وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ » [النساء154]، وقوله:« أَمَّنْ لَا يَهِدِّي »[يونس35]. وعلّل مكي بن أبي طالب القيسي الإدغام واستحسنه في هذين الحرفين بقوله:« إنّ التاء لمّا كانت من مخرج الطاء، حَسُنَ فيها الإدغام، إذ كانا من مخرج واحد فأشبها المثلين، وقوّى ذلك أنّك تنقل التاء بالإدغام إلى حرف قوي أقوى من التاء بكثير، ففي الإدغام زيادة قوة في الدّغم وذلك ممّا يحسن جواز الإدغام يقوّيه» (مكي، الكشف).

وكاستنتاج لما سبق، فإنه لا مانع صوتيا من إدغام التاء في الطاء، لأنه له نظائر في القرآن الكريم، بالإضافة إلى إجازته من طرف بعض العلماء في الشعر (سيبويه، الكتاب) (مكي، الكشف) كقول علقمة الفحل (الشنتمري و تح: الحتي، 1993):

وَفِي كُلِّ حَيٍّ خَبَطَّ بِنِعْمَةٍ

فَحَقَّ لِشَأْسٍ مِنْ نِدَاكٍ ذُنُوبُ.

2: { طسم}

قوله تعالى: { طسم } [الشعراء والقصص-1 -

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني):

وَطسَ عِنْدَ الْمِيمِ فَازَ اتَخَذْتُمُ

أَخَذْتُمْ وَفِي الإِفْرَادِ عاشَرَ دَغْفَلاَ.

انفرد الإمام حمزة بقراءة قوله تعالى: «طسم» في بداية سورة الشعراء والقصص بإظهار نون «طس» عند الميم، أما باقي السبعة فبالإدغام (الحلبي، العقد النضيد في شرح القصيد).

يقول ابن أبي مريم:« أمّا النون من سين وإخفاؤها في الميم فإنّهم اتفقوا عليه إلاّ حمزة فإنه أظهر النون عند الميم، والوجه أنّ الأصل هو الإظهار، لأنّ هذه الحروف كل واحد منها في تقدير الانفصال والانقطاع مما بعده، فوجب لذلك تبيين النون، وأمّا وجه إخفائها فلأنّهم أجروا عليها حكم الاتصال ولم يقدّروا فيها الانفصال، كما فعلوا بهمزة الوصل حين وصلوها وما قطعوها في قوله تعالى:{ الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ } [آل عمران 1و2]. فقدّروا الاتصال فأسقطوا الهمزة، وهمزة الوصل لا تسقط إلا في الدرج، فذلك قدّروا هاهنا اتصال النون من طاسين بالميم، فأخفوا النون في الميم» (مريم، الموضح في وجوه القرءات و عللها).

3: {وَالصَّافَّات صَفًّا}-{ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا }

قوله تعالى: { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا }[سورة الصّافات1-2-3].

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرزالأماني و وجه التهاني في القراءات السبع):

وَصَفًّا وَزَجْراً ذِكْراً ادْغَمَ حَمْزَةٌ

وَذَرْواً بِلاَ رَوْمٍ بِها التَّا فَثَقَّلاَ

انفرد الإمام حمزة بقراءة قوله تعالى: { وَالصَّافَّاتِ صَفًّا فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا بإدغام التاء في الصاد والزّاي والذّال، وكذا في سورة الذّاريات { وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا } أدغم التاء في الذّال، أمّا باقي السبعة فقرؤوا بإظهار التاء عند الصاد والزّاي والذّال (الداني، التيسير في القراءات السبع).

اختلف العلماء في توجيه هذه القراءة بين مجيز للإدغام ورافض له، فمن هؤلاء أحمد بن حنبل الّذي لم يجز إدغام التاء في الصّاد والزاي والذّال (حيان

أ. البحر المحيط)، وعلّل العلماء ذلك، منهم النّحاس إذ يقول: «وهي بعيدة في العربية من ثلاث جهات: إحداهن أنّ التاء ليست من مخرج الصاد ولا من مخرج الزاي، ولا من مخرج الذّال، ولا هي من أخواتهن...والجهة الثانية أنّ التاء في كلمة، وما بعدها في كلمة أخرى، والجهة الثالثة أنّك إذا أدغمت فقلت: والصّافات صفا فجمعت بين ساكنين من كلمتين، فإنّما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا إذا كانا من كلمة واحدة، نحو: دابّة» (النحاس، إعراب القرآن).

أمّا الفرّاء فيرى أنّ الإظهار أجود وأحسن (الفراء، معاني القرآن)، ووافقه ابن خالويه بأنّ الإظهار أحسن في هذه المسألة (خالوية، الحجة).

ويرى مكي بن أبي طالب أن إدغام التاء في هذه الحروف جائز وذلك: أن هذه الحروف اشتركت في المخرج، ولأن الحروف (الصاد والزّاي والذّال) أقوى من التاء، لأن التاء مهموسة، وباقي الحروف مجهورة، فالصاد قوي بالإطباق والاستعلاء، والزّاي قوي بالصفير والجهر، فحسن الإدغام هنا، لأنك تبدل من التاء عند الإدغام حرفا أقوى منها، فتنتقل التاء بالإدغام إلى القوّة (مكي، الكشف).

وقال أبو علي: « إدغام التاء في الصاد حسن لمقاربة اللّفظين، ألا ترى أنهما من طرف اللّسان، وأصول الثنايا، ويجتمعان في الهمس، والمدغم فيه يزيد على المدغم بخلتين، هما الإطباق والصفير، ويحسن إدغام الأنقص في الأزيد، ولا يجوز أن يدغم الأزيد صوتا في الأنقص صوتا، فلهذا يحسن إدغام التاء في الزّاي من قوله { فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا } لأن التاء مهموسة، والزاي مجهورة، فيها زيادة صفير، كما كان في الصاد، ولذلك حسن إدغام التاء في الذّال في قوله { فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا } و وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا } لاتفاقهما في أنّهما من طرف اللّسان وأصول الثنايا...» (الطبرسي، 2006).

وخلاصة القول إنّ حجّة من أدغم فلقرب مخرج التاء من هذه الحروف، أي: الصاد والزّاي والذّال، وأما من أظهر فحجته أنّ التاء متحرّكة والألف ساكنة قبلها، فأظهر تخلّصا من الجمع بين السّاكنين (خالوية، الحجة). وبما أن هذا الإدغام أجازه القدماء، والدّرس الصوتي الحديث يجيزه أيضا (أنيس، الأصوات اللغوية)، فنرى أن الإدغام جائز وغير ممتنع لورود قراءة صحيحة فيه.

2.2.7 ما انفرد به نافع (ت:169هـ):

لم ينفرد الإمام نافع في باب الإدغام بأحرف معيّنة، أمّا ما يتعلق بأصوله في هذا الباب، فقد أدغم دال قد في الضاد والظاء نحو: «فقد ضلّ» و«لقد ظلمك»، وأظهرها عند باقي أحرفها الثمانية، وأدغم تاء التأنيث عند الطاء فقط، وذلك في ثلاثة مواضع ليس غير، موضعين في الأنعام « وَأَنْعَام حُرِّمَتْ ظُهُورُها»، و« إلاّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا»، وموضع في الأنبياء« كَانَتْ ظَالِمَةً»، وأظهرها عند باقي أحرفها السّتة (القاضي، 2007).

وأدغم نون«يس» في الواو من قوله تعالى:« يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ »[يس1-2]، كما أظهر ثاء يلهث عند الذّال في رواية ورش في سورة الأعراف في قوله تعالى: « أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ »، وباء «اركب» عند الميم في قوله تعالى في سورة هود « يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا» وباء «ويعذّب» عند الميم في سورة البقرة في قوله تعالى « وَيُعَذِّبْ مَن يَّشَاء» (القاضي، شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع)

كما أدغم الذال في التاء في لفظ أخذتم كيف وقع، سواء كانت التاء فيه ضمير جمع كهذا المثال، أم ضمير فرد نحو « فأخذتهم» و«أخذت»، وأدغم أيضا الذال في التاء في «اتخذتم» جمعا كهذا المثال، وفردا

نحو « لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي» و«لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا» وما شاكل ذلك (القاضي، شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع).

وقرأ «عاد الأولى» في والنجم بإدغام التنوين في اللام، أي بعد النقل، قرأ عوجا وقيما ومرقدنا هذا ومن راق وبل ران بترك السكت في الأربعة مع إدغام نون من ولام بل في الراء بعدهما (الضباع، الإضاءة في بيان أصول القراءة).

2.2.8 ماانفرد به الكسائي (189 هـ):

انفرد الإمام الكسائي بحرفين اثنين، الأوّل في سورة المائدة ، والثاني في سورة سبأ.

1: { هَل تَّسْتَطِيعُ} -{ هَلْ يَسْتَطِيعُ}

قوله تعالى: { إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ } [المائدة-112-].

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني وجه التهاني في القراءات السبع):

ألا بَلْ وهَلْ تَرْوي ثنَا ظَعْنِ زينبٍ

سَمِيرَ نوَاهَا طِلْحَ ضُرٍّ ومُبْتَلى

فَأَدْغَمَهَا: رَاوٍ وَأَدْغَـــمَ فَاضِـلٌ

وَقُورٌ ثنَاهُ سَرَّ تيْماً وَقَدْ حَلاَ

يبيّن الشاطبي في البيت الأول أن لام هل وبل تدغم في ثمانية حروف، وهي: التاء، والثاء، و الظاء، والزّاي، والسين، والنون، والطاء، والضاد، ثم أخبر في البيت الثاني أن الكسائي وهو المشار إليه بالرّاء في قوله راو أدغم لام هل وبل في حروفهما (القاضي، الوافي في شرح الشاطبية، 2013).

انفرد الإمام الكسائي بقراءة «هل تستطيع» بإدغام اللّام في التاء في قوله تعالى: « هل يستطيع ربّك » وأظهرها الباقون (الداني، التسير).

حجّة من أدغم اللّام في التاء أنّ « هل وبل لما لزم لامهما السكون أشبهتا لام التعريف، فجاز فيهما من الإدغام معهن ما لا يجوز في لام التعريف إلا هو، ألا ترى أنه لم تدغم لام (قل) وتبدل لأن سكونها غير لازم. وحجّة من أظهر أن لام (هل وبل) منفصلتان من الكلمة والّتي بعدهما، ففارقتا لام التعريف المتصلة بما بعدها، والانفصال أبدا يقوى معه الإظهار... والاتصال أبدا يقوى معه الإدغام...» (مكي، الكشف).

ويرى الطبرسي أنّ القراءة بإدغام اللام في التاء حسنة، يقول « وأمّا إدغام اللّام في التاء فإنه حسن، لأن أبا عمرو أدغم اللّام في الثاء في قوله تعالى: « هَلْ ثُوِّبَ الكفّار»، والتاء أقرب إلى اللّام من الثاء، والإدغام إنما يحسن في المتقاربين» (الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن)

وقد رجّح الفرّاء إظهار اللّام مع التاء، وسبب ترجيحه هذا راجع إلى أنّ القراءة عنده « من المولّدين مصنوعة لم يأخذوها بطباع الأعراب إنما أخذوها بالصيغة» (الفراء، معاني القرآن).

وهناك من ردّ رأي الفرّاء، لأن سيبويه أجاز هذا الإدغام مستشهدا بقول مزاحم العقيلي (القيسي و الضامن):

فَدَعْ ذَا وَلَكِنْ هَتُّعِينُ مُتَيَّمًا

عَلَى ضَوْءِ بَرْقٍ آخِرُ اللَّيْلِ نَاصِبِ.

أراد هَلْ تُعِينُ (سيبويه، الكتاب)

من خلال ما سبق، يمكن القول إنّ كلّا من اللام والتاء متقاربتان في المخرج، لأنهما من طرف اللّسان، فهما أحوج إلى الإدغام من غيرهما (السيرافي، إدغام القراء)

2: { نَخْسِف بِّهِمْ }-{ نَخْسِفْ بِهِمُ }

قوله تعالى:{ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ} [سبأ-09 -].

يقول الشاطبي في منظومته (الشاطبي، حرز الأماني وجه التهاني في القراءات السبع):

وَمَعْ جَزْمِهِ يَفْعَلْ بِذلِكَ سَلَّمُوا

وَنَخْسِفْ بِهِمْ رَاعَوْا وَشَذَّ تَثَقُّلاً.

انفرد الكسائي بقراءة قوله تعالى« نخسف بهم » بإدغام الفاء في الباء، أمّا باقي السّبعة فقرؤوا بالإظهار (الحفيان، 2002).

إن حجّة الكسائي في إدغام الفاء في الباء، هو « أن مخرج الباء من الشفتين ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى، وأطراف الثنايا العليا، فاتفقا في المخرج للمقاربة...» (خالوية، الحجة). يقول مكي بن أبي طالب ذاكرا علة هذا الإدغام الّذي انفرد به الكسائي: « وعلّة إدغامه أنّ الفاء والباء اشتركا في المخرج من الشفة، واشتركا في منع إدغام لام التعريف فيهما، والباء حرف قوي، للشدة التي فيها والجهر، والفاء أضعف من الباء للهمز الّذي فيها والرّخاوة، فإذا أدغمت نقلت الحرف إلى ما هو أقوى منه...» (مكي، الكشف).

وموقف العلماء من هذه القراءة، أن حرف الفاء من الحروف الّتي لا تدغم إلاّ في مثلها (يعيش، شرح المفصل)، وقد أنكر النحويون إدغام الفاء بالباء، لأن الفاء من الحروف الّتي لا تدغم في مقاربها، ولا يحفظ ذلك في كلامهم وهو ضعيف في القياس، لما فيه من إذهاب التفشي الّذي في الفاء (الحاجب، 1983).

ومن هؤلاء النّحاة سيبويه الّذي أقرّ أنّ الفاء لا تدغم في الباء، لأنها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وانحدرت إلى الفم وقاربت من الثنايا مخرج الثاء، لأن أصل الإدغام في حروف الفم واللّسان، وهي أكثر الحروف (سيبويه، الكتاب)، ومنع أبو علي الفارسي الإدغام في مثل هذه القراءة، يقول «وذلك غير جائز، لأن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، وانحدر الصوت بها إلى الفم حتى اتصلت بمخرج الثاء، فلهذا جاز إبدال الثاء بالفاء في نحو الحدث والجدف للمقاربة بينهما، فلم يجز إدغامه في الباء كما لا يجوز إدغام الباء فيه، لزيادة صوت الفاء على صوت الباء» (الفارسي و تح: هنداوي، 2001).

ورأى الزمخشري أنّ هذه القراءة ليست بقويّة، وقرّر في المفصل أنّ الفاء لا تدغم إلا في مثلها، وإدغامها في الباء ضعيف، وهو وجه من القراءة تفرّد به الكسائي (يعيش، شرح المفصل)، ووافقه في هذا ابن يعيش الّذي يرى أن الإدغام في هذه القراءة شاذٌّ، لأن فيه تغشٍّ والإدغام يزيله (يعيش، شرح المفصل).

ومن بين الّذين أجازوا إدغام الفاء في الباء وناصروا قراءة الكسائي، ابن الحاجب الّذي وقف على النقيض من الزمخشري وابن يعيش، إذ يقول: «والتحقيق أنّها قد أدغمت في الباء، قرأ الكسائي:«نخسف بهم» بإدغام الفاء في الباء» (الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل)، ثم رأى أنّ التفشي الّذي جعل علّة لمنع الإدغام في هذا الحرف خاص بالسّين دون سائر الحروف، بإطباق النحاة على ذلك، قال: «وإطباق النحويين على تخصيص الشّين بالتفشي ردّ على من يمنع إدغام الفاء منهم في الباء، لعدم الصفة الصانعة للإدغام فيها» (الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل).

ممّا سبق يمكن القول إنّ الرّاجح هو لا مانع صوتيا من إدغام الفاء الباء (شاهين، 1987)، لأن الشّرط

الّذي ورد عن سيبويه من أن: « أصل الإدغام في حروف الفم واللّسان لأنها أكثر الحروف» (سيبويه، الكتاب)، ينتقض بإجازته إدغام حروف أخرى: كالباء والميم، والفاء، واقعة خارج منطقة الفم واللّسان، والباء صوت شفوي مجهور، والميم صوت أنفي مجهور (أنيس، الأصوات اللغوية)

وسيبويه يجيز إدغام الباء في الفاء نحو: إذهب فّي ذلك بقلب الباء فاءً (أنيس، الأصوات اللغوية)، ولا فرق بينهما. ويكفي أن تكون قراءة الكسائي قراءة سبعية وهي متواترة، والإدغام له وجه في العربية، فلا داع لاستضعاف هذه القراءة أو منعها، وقد سوّغ الدكتور إبراهيم أنيس هذا الإدغام بقوله:« أنّ الفاء جُهِرَ بها أوّلا، فأصبحت ذلك الصوت الشائع في اللّغات الأوروبية والّذي يرمز إليه بالرمز (v)، مثل هذا الصوت إذا ذهبت رخاوته بإنحباس الهواء معه ليصبح إنفجاريا أشبه بالباء كلّ الشبه، وبهذا يمكن الإدغام» (أنيس، الأصوات اللغوية)

9. خاتمة

في نهاية هذا البحث خلصت الدّراسة على نتائج أهمّها:

1-تبيّن من خلال هذا البحث أنّ أمثلة الإدغام الّتي انفرد بها القرّاء السبعة لا تنطبق تماما مع بعض القواعد الّتي وضعها علماء العربيّة، على سبيل المثال لا الحصر قاعدة التقاء السّاكنين، لأنّ الصورة الكتابيّة الّتي تخيّلها العلماء عن التقاء السّاكنين في الإدغام لا وجود لها في الواقع التطبيقيّ.

2-إنّ بعض ما انفرد به القرّاء السبعة سواء في الإظهار أو الإدغام، قد خالف بعض القواعد المتعارف عليها عند علماء اللغة، هذا ما جعل بعضهم يطعن في هذه الانفرادات، ويصفها بشتّى أنواع النّعوت .

3-إنّ قراءة أبي عمرو بن العلاء لقوله تعالى: { **وَيَغْفِرْ لَكُمْ** } بإدغام اللّام في الرّاء قد جوّزت إدغام حرف اللّام في حرف الرّاء، وقد ثبت ذلك سماعا.

4-إنّ قراءة الكسائيّ لقوله تعالى:{ **نَخْسِفْ بِهِمُ** } بإدغام الفاء في الباء، قد جوّزت إدغام حرف الفاء في حرف الباء، وقد ثبت ذلك سماعا.

5-إنّ قراءة عاصم في رواية حفص عنه لقوله تعالى: { **بَلْ رَانَ** } بإظهار اللّام عند الرّاء، قد أجازت في العربيّة إظهار حرف اللّام عند مجاورته حرف الرّاء.

6-إنّ قراءة عاصم في رواية حفص لقوله تعالى:

{ **مَنْ رَاق** } بإظهار النّون السّاكنة عند الرّاء، أجازت إظهار حرف النّون حال سكونه عند حرف الرّاء .

7-إنّ قراءة حمزة لقوله تعالى: { **طَسم**} بإظهار النّون السّاكنة عند الميم، أجازت إظهار حرف النّون حال سكونه عند الميم.

10. المصادر والمراجع :

إبراهيم أنيس. (1975). الأصوات اللغوية. مصر: مكتبة الأنجلو.

ابن أبي مريم، و تح: الكبيسي عمر حمدان. (2001). الموضح في وجوه القراءات و عللها. مصر: مكتبة التوعية الاسلامية.

ابن الجزري، و علي محمد أشرف عليه: الضباع. النشر في القراءات العشر. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن الحاجب. (1983). الإيضاح في شرح المفصل. العراق: مطبعة العاني.

ابن السراج، و عبد الحسين تح: الفتلي. (1996). الأصول في النحو. لبنان: مؤسسة الرسالة..

ابن جني. (1999). المحتسب في تبين وجوه و شاذ القراءات و الإيضاح عنها. مصر: مطابع روزا ليسف.

ابن جني، محمد تح: حسن، و و آخرين. (2000). سر صناعة الإعراب. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن جني، و محمد علي تح: النجار. الخصائص. الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن خالوية، و أحمد فريد تح: المزيدي. (1999). الحجة في القراءات السبع. لبنان: دار الكتب العلمية.

ابن زنجلة، و سعيد تح: الأفغاني. (2002). حجة القراءات. لبنان: مؤسسة الرسالة.

ابن عصفور الإشبيلي، و فخر الدين تح: قباوة. (1978). الممتع في التصريف. لبنان: دار الآفاق الجديدة.

ابن غلبون. التذكرة في القراءات. الجزائر: دار الهدى.

ابن منظور. (1956). لسان العرب. لبنان: دار الصادر.

ابن هاشم، و حنا تح: الفاخوري. (1989). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. لبنان: دار الجيل.

ابن يعيش، و إميل بديع تح: يعقوب. (2001). شرح المفصل. لبنان: دار الكتب العلمية.

أبو الفضائل، و عبد المقصود محمد تح: المقصود. (2004). شرح الشافية ابن الحاجب في علم الصرف. مكتبة الثقافة الدينية.

أبو حيان الأندلسي، و رجب عثمان تح: الحمد. (1998). ارتشاف الضرب من لسان العرب. مصر: مكتبة الخانجي.

أبو على الفارسي، و كامل مصطفي تح: هنداوي. (2001). الحجة للقراء السبعة. لبنان: دار الكتب العلمية.

أبي حيان الأندلسي. (1978). البحر المحيط. لبنان: دار الفكر.

أحمد علم الدين الجندي. (1978). اللهجات العربية في التراث. ليبيا: الدار العربية للكتاب.

الأخفش، و فائز تح: فارس. (1979). معاني القرآن.

الأزهري، و أحمد فريد تح: المزيدي. (1999). معاني القراءات. لبنان: دار الكتب العلمية.

الأنصاري، و عبد المجيد تح: قطامش. (2001). الإقناع في القراءات السبع. السعودية: معهد البحوث العلمية.

البغدادي، و محمد تح: بن عبد الشعباني. المبهج في القراءات السبع. مصر: دار الصحابة بطنطا.

الحفيان. (2002). قراءة الكسائي من القراءات العشر المتواترة. لبنان: دار الكتب العلمية.

الداني. الإدغام الكبير.

الداني. (2005). التيسير في القراءات السبع. مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

الداني، و عبد الرحمن حسن تح: العارف. (2003). الإدغام الكبير. مصر: عالم الكتاب.

الدمياطي. (2006). إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر. لبنان: دار الكتب العلمية.

الرضى. شرح شافية ابن الحاجب.

الزجاج، و عبد الجليل عبده تعليق: شلبي. (1988). معاني القرآن و إعرابه. مصر: عالم الكتب.

الزمخشري. الكشاف.

الزمخشري. (1993). المفصل في صنعة الإعراب. لبنان: مكتبة الهلال.

الزمخشري، و عبد الرزاق تح: المهدي. (1979). الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التأويل. لبنان: دار إحياء التراث العربي.

السخاوي، و مولاي محمد الإيدريسي تح: الطاهري. (2002). فتح الوصيد في شرح القصيد. السعودية: مكتبة الرشد.

السمين الحلبي. العقد النضيد في شرح القصيد.

السمين الحلبي. (2001). العقد النضيد في شرح القصيد. السعودية: دار نور المكتبات.

السيرافي، و أحمد محمود عبد السميع تح: الشافعي الحفيان. (2002). إدغام القراء. لبنان: دار الكتب العلمية.

السيوطي، و أبو عاصم حسن بن عباس تح: بن قطب. (2004). شرح الشاطبية. مصر: مؤسسة قرطبة.

السيوطي، و عبد العال سالم تح: مكرم. (1980). همع الهوامع في شرح جمع الجوامع. الكويت: دار البحوث العلمية.

الشاطبي، و أيمن رشدي تح: سويد. (2013). حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع. الجزائر: دار الإمام مالك.

الشنتمري، و حنا نصر تح: الحتي. (1993). ديوانه. لبنان: دار الكتاب العربي.

الضباع. (2006). إرشاد المريد إلى مقصود القصيد. مصر: دار الصحابة للتراث.

الضباع. (1999). الإضاءة في بيان أصول القراءة. مصر: المكتبة الأزهرية للتراث.

الطبرسي. مجمع البيان في تفسير القرآن.

الطبرسي. (2006). مجمع البيان في تفسير القرآن. لبنان: دار المرتضي.

الفراء، و إبراهيم تح: شمس الدين. (2002). معاني القرآن. لبنان: دار الكتب العلمية.

الفراهيدي، و عبد الحميد تح: هنداوي. (2003). معجم العين. بيروت: دار الكتب العلمية.

الكسائي، و عيسى تح: شحاته. (1988). معاني القرآن. مصر: دار قباء للطباعة.

الكفوي، عدنان تح: درويش، و محمد المصري. (1967). الكليات في معجم المصطلحات و الفروق اللغوية. سوريا.

المبرد، و محمد عبد الخالق تح: عضيمة. المقتضب. لبنان: عالم الكتب.

المهدوي. شرح الهداية.

المهدوي، و حازم سعيد تح: حيدر. شرح الهداية. اسعودية: مكتبة الرشد.

النحاس، و زهير غازي تح: زاهد. (1977). إعراب القرآن. العراق: مطبعة العاني.

النووي، و خليل راجعه : المنسي. شرح صحيح مسلم. لبنان: دار القلم.

توفيق إبراهيم ضمرة. (2006). الطريق المنير إلى قراءة ابن كثير من طريقي الشاطبية و الطبية. الأردن: المكتبة الوطنية.

حسام سعيد النعيمي. الدراسات اللهجية و الصوتية عند ابن الجني. العراق: دار الرشيد.

داود عبده. درسات في علم أصوات العربية. الكويت: مؤسسة الصباح.

زيد القرالة. (2011). تاءات البري المفهوم و الحقيقة الصوتية . مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب ، 431.

سمير استيتية. القراءات القرآنية بين العربية و الأصوات اللغوية منهج لساني معاصر. العراق: عالم الكتب الحديث.

سيبويه، و عبد السلام محمد تح: هارون. (1992). الكتاب. مصر: مكتبة الخانجي.

عابدين الدسوقي، و أحمد محمد تح: الراضي. (2002). روضة الشاكر في قراءة ابن عامر. مصر: مكتبة الثقافة الدينية.

عبد الصبور شاهين. (1987). أثر القراءات في الأصوات و النحو العربي (أبو عمرو بن العلاء). مصر: مكتبة الخانجي.

عبد الفتاح القاضي. (2013). الوافي في شرح الشاطبية. مصر: دار السلام.

عبد الفتاح القاضي. (2007). شرح النظم الجامع لقراءة الإمام نافع. مصر: دار السلام.

كمال بشر. علم الأصوات. مصر: دار غريب.

مكي بن أبي طالب القيسي، و عبد الرحيم تح: الطرهوني. (2007). الكشف عن وجوه القراءات السبع و عللها و حججها. مصر: دار الحديث.

مهدي المخزومي. (1958). مدرسة الكوفة و منهجها في دراسة اللغة و النحو. مصر: مكتبة و مطبعة مصطفي الباجي الحلبي و أولاده.

نوري حمودي القيسي، و حاتم الضامن. ديوانه.

هويدانية أبو بكر سعيد الخطيب. الكامل الفريد في التجريد و التفريد.

هويدانية أبو بكر سعيد الخطيب. (2013). الكامل الفريد في التجريد و التفريد (مفردة الإمام ابن عامر الشامي لإمام جعفر مكي الموصلي). السعودية: جامعة أم القرى.